السلالات البشرية تعريفها وأسس تصنيفها

إعداد

أ.د / حسام جاد الرب

أستاذ ورئيس قسم الجغرافيا

كلية الآداب– جامعة أسيوط

مفهوم السلالة:

ما أنسل عن الشيء، والولد كالسليل والسليلة البنت، وفي القرآن الكريم «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» [سورة المؤمنون آية12].

والتعبير الشائع بالعربية الآن هو لفظة "جنس" يقتصر هذا اللفظ على معنى أحيائي خاص، له مركزه المعين في التقسيم الإحيائي العام، وقد ورد في المصباح المنير تحت لفظ جنس أنه "الضرب في كل شيء والجمع أجناس وهو أعم من النوع فالحيوان جنس، والإنسان نوع. وحكى عن الخليل هذا يجانس هذا أي يشاكله"، والجنس مشتقة من Genus اللاتينية وهي تشمل عدة أنواع species فمن المستحيل إذن استعمالها فيما ينقسم إليه النوع. ولذلك فنحن نستعمل كلمة سلالة على ما يطلق عليهRace (بالإنجليزية والفرنسية) وRasse (بالألمانية) ويرى بعض الكتاب أن هذا اللفظ مشتق من كلمة رأس الموجودة في اللغات العربية والعبرية وغيرها من اللغات السامية الأخرى، ومن ثم انتقلت إلى الإسبانية فالإيطالية Rassa فرأس الجماعة إذن هو أصلها. وخشية اختلاط هذا المعنى بالرئاسة ومشاكلها، ولقرابة استعماله في هذا المعنى، فالأفضل أن نستعمل كلمة سلالة، لأنها تتضمن معنى التسلسل الأحيائي ونحن نقول فلان سليل أسرة كذا، أي إنه ينتمي إليها، والقوم سلالة عدنان مثلا أي منحدرون من هذا الأصل. ويمكن القول إن لفظ سلالة هي عبارة من مجموعة من البشر يشتركون فيما بينهم في صفاتهم الجسمية الأساسية في إقليم جغرافي معين، وهذه الصفات قابلة للانتقال بالوراثة، وفي نفس الوقت يختلفون عن غيرهم من البشر في هذه الصفات، وأهم هذه الصفات هي لون البشرة، وشكل الشعر ولون العين وشكلها وشكل الرأس والوجه والأنف، وطول القامة.

أسس تصنيف السلالات:

قسم العديد من العلماء السلالات حسب العديد من الأسس الجسمية التي تتعرض لعوامل البيئة والانتخاب الطبيعي، وبعض هذه السلالات يمكن مشاهدتها مثل لون البشرة، وشكل الشعر ولونه وشكل العين ولونها والبعض الأخر يمكن تحليلها مثل فصيلة الدم، أو تلك التي يمكن قياسها كشكل الرأس وشكل الوجه وشكل الأنف وطول القامة. وفيما يلي دراسة لهذه الأسس الجسمية:

[1] لون البشرة:

يعد اللون من أهم الصفات التي تسترعى الانتباه من أول نظرة وقد كان تصنيف البشر إلى ثلاث مجموعات كبرى معتمد على لون البشرة، وهذه المجموعات هي المجموعة البيضاء والمجموعة الصفراء والمجموعة السوداء، ولكن اللون الواحد يشكل صعوبة. وتأتي صعوبة الأساس أنه يوجد تدرج في اللون الواحد إذ ليس هناك لون مطلق إلا في حالات طبيعية، فاللون الأبيض يتراوح بين الأبيض المشرب بالحمرة والأبيض الباهت والأسمر بدرجاته المتفاوتة وهكذا

في بقية الألوان إذ أن هناك تدرج كبير بين الشعوب التي تسمى بالسوداء فهناك الأسود الأبنوسي والأسود الفاتح، كما أنه لا يوجد شعب أصفر البشرة بل هناك شعوب يتراوح لونها بين الأبيض أو الأسمر الضارب إلى الصفرة

[2] شكل الشعر:

يختلف نسيج الشعر من سلالة إلى أخرى، وبصفة عامة يمكن تقسيم الشعر إلى ثلاثة أنواع: الشعر المموج والشعر المسترسل والشعر المفلفل أو الصوفي. فالشعر المموجCymotrithy يميز المجموعة القوقازية عن غيرها من المجموعات، ويتراوح في درجة تموجه بين ضحل الموجات مثل شعر الأوروبيين عموما والشعر المجعد مثل شعر المصرين عمومًا والشعر البالغ التجعد حيث موجات الشعر بشكل حلزوني تقريبًا. كما أن الاستراليين الأصليين يتميزون بالشعر المموج. أما الشعر المسترسل Leiotrithy فهو يمتاز بخشونته وهو غير المجموعة المغولية عن غيرها من المجموعات الأخرى.

أما الشعر المفلفل Ulotrithy حيث تكون كل شعرة ملتفة حول نفسها متكورة كحبة الفلفل، وهو يميز المجموعة الزنجية عن غيرها من المجموعات الأخرى.

[3] لون العين وشكلها:

تنقسم العين من حيث اختلاف اللون إلى قسمين ظاهرين هما العيون الفاتحة الملونة، والعيون السوداء، وتتدرج العيون الفاتحة الملونة من الرمادي الفاتح إلى الرمادي الغامق، ثم البني الفاتح والثقيل، ثم الأخضر أو الأزرق بدرجاتهما. أما العيون السوداء فهي تميز المجموعة الزنجية، أما اللون العسلي فيميز المجموعة المغولية، واللون الفاتح الملون يميز المجموعة القوقازية.

أما من ناحية شكل العين فنجد أن عيون المجموعة القوقازية عادية في شكلها وأحيانًا تمتاز بالعيون الضيقة المستقيمة، بينما نجد أن المجموعة المغولية تمتاز بالعيون المنحرفة الضيقة، وتختلف درجة انحراف العين بين سلالة وأخرى داخل هذه المجموعة، أما عيون المجموعة الزنجية فهي واسعة، وتبدو كل عين كأنها بعيدة عن العين الأخرى.

[4] شكل الرأس:

يعد شكل الرأس من الصفات الخاصة التي تميز السلالات عن بعضها البعض، فإذا نظرنا إلى رأس الإنسان نجد أنها ذات صفات خاصة من حيث طولها وعرضها وطول الرأس هو البعد بين نقطة التقاء عظام الأنف بعظام الحاجبين. أما عرض الرأس فهو أبعد مسافة في الرأس بين نقطتين في أعلى الأذنين ويوجد بروزان في جدار الرأس من الجانبين وأكبر عرض للرأس يقع بين هذين البروزين. ويعبر الأنثروبولوجيون عن شكل الرأس فيما يعرف بالنسبة الرأسية وهي النسبة المئوية بين عرض الرأس (الجمجمة) وبين طولها ويعبر عنها بالمعادلة الآتية:

$$\text{النسبة الرأسية} = \frac{\text{عرض الرأس}}{\text{طول الرأس}} \times 100$$

وقد اصطلح الباحثون على أرقام معينة تحدد الأشكال المختلفة للرأس، فإذا كانت هذه النسبة أقل من 75% كان الرأس طويلاً، وإذا كانت تتراوح بين 75–80% كان الرأس متوسطًا، وإذا كان أكثر من 80% كان الرأس عريضًا.

[5] شكل الوجه:

هناك أيضا ما يعرف بالنسبة والوجهيةFacial Index وهي النسبة المئوية بين طول الوجه وعرضه، وأهم ما يؤثر في شكل الوجه هي عظام الوجنتين، فإذا كانت عظمتا الوجنتين متباعدتين كان الوجه عريضًا وإذا كانت متقاربتين كان مستطيلاً. وهناك علاقة كبيرة بين شكل الوجه وشكل الرأس. فهناك عادة انسجام بين الرأس الطويل والوجه الطويل، وبين الرأس العريض والوجه العريض.

[6] شكل الأنف:

هناك بعدان للأنف الأول ما بين الجناحين وهو عرض الأنف، والبعد الثاني ما بين نقطتي تلاقي عظام الأنف بعظام الجبهة من ناحية والفك الأعلى من ناحية أخرى وهو طول الأنف. وهناك ما يعرف باسم النسبة الأنفيةNasal Index وهو النسبة المئوية بين عرض الأنف وطولها ويعبر عنها بالمعادلة الآتية:

$$\text{النسبة الأنفية} = \frac{\text{عرض الأنف}}{\text{طول الأنف}} \times 100$$

حيث تقسم أنوف الأحياء بحسب النسبة الأنفية إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

- أنف ضيق Lepto وهو الذي تقل نسبته عن 70%.
- أنف متوسط Meso الذي تتراوح نسبته بين 80-85%.
- أنف عريض Platy الذي تزيد نسبته على 85%.

ويتصف كل جنس من أجناس العالم الثلاث الكبرى بشكل خاص من أشكال الأنف فالقوقازيون ضيقو الأنف والمغول متوسطو الأنف والزنوج عراض الأنف.

[7] طول القامة:

تعد القامة من الصفات المميزة للسلالات، بالإضافة إلى إمكانية قياسها في الأحياء وفي الهياكل العظمية. ويرى توبينارد أن متوسط طول الإنسان165 سم، وأن من يزيد عن 170 سم يعد طويلاً، ومن يقل عن160 سم يعد قصيرًا، وأن من يقل عن 128سم يعد قزمًا. ومن المعروف أن بعض السلالات يغلب عليها طول القامة، وبعضها يغلب عليها قصر القامة. وتتميز السلالة الزنجية بطولها بصفة عامة باستثناء الأقزام، بينما تتميز السلالة المغولية بالقامة المتوسطة، أما السلالة القوقازية فتتميز بالقامة الطويلة والمتوسطة.

[8] فصيلة الدم:

ينتمي كل البشر إلى أربع فصائل دم Blood Group يرمز إليها بالحروف الآتية: فصيلة AB، فصيلة A، فصيلة B، فصيلة O وقد بنى هذا التقسيم على أساس احتواء سائل الدم في كل فصيلة على مادة معينة بحيث يتجلط الدم إذا أدخل إليه دم من فصيلة أخرى فأما AB فتحتوي على مادتين من هذه المواد هما A وB وأما فصيلة A فتحتوي على مادة A فقط، كذلك فصيلة B فقط، وأما فصيلة O فهي خالية من كلا مادتي A وB.

(ج) تصنيف البشر إلى سلالات:

لعل أقدم التصانيف البشرية تتمثل في تميز الشعوب على أساس لون البشرية فاستخدم المصريون اللون

الأحمر والأصفر والأسود للمصريين والليبيين والزنوج على التوالي، ثم قسم البشر إلى ثلاثة سلالات هي: سلالة حام وسلالة سام وسلالة يافث والتي أوردها الكتاب المقدس كما ذكر كوفيير Cuvier عام 1817م. وفي العصر الحديث تتابعت عملية التصانيف البشرية باستخدام خصائص مختلفة وقد استمرت علمية التصانيف البشرية منذ منتصف القرن التاسع عشر أي نحو أكثر من قرن ونصف من الزمان تمخضت عن ستة عشر تصنيفًا وتصنيف في القرن الثامن عشر، سبعة تصنيفات في القرن التاسع عشر، وثمانية في القرن العشرين قبيل الحرب العالمية الأولى وكثير من هذه التصنيفات اتبعت التقسيم القاري بحيث يكون سلالة كبرى لكل قارة مثل الأمريكيون في الأمريكتين والزنجية في أفريقيا والأوروبية في أوربا والمغولية في آسيا. ومع بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر وعلى وجه التحديد عام1878 بدأت المحاولات التصنيفية تأخذ الصفات الجسمية أساسًا للتقسيم وبصفة خاصة الشعر مما تتمخض عن تقسيمات مقبولة وبدأت بعدها اتخاذ صفات أخرى لكن اتخاذ مقاييس فرعية تحت صفة الشعر يعتبر الاتجاه الأفضل في عملية التصانيف وقد أورد جريفث تايلور هذه التصنيفات على النحو التالي:

الشعر الصوفي المفلفل	الشعر المستقيم	الشعر المموج
١ – زنوج أفريقيا ٢ – زنوج الأوقيانوسية	١ – ما قبل الدرافيديين ٢ – البولينيزيون ٣ – المغول الشماليون ٤ – الهنود الأمريكيون	١ – ما قبل الدرافيديين ٢ – الشعوب القوقازية ٣ – أ– البحر المتوسط ب– النورديون والأفغان. ج– الألبيون والسفنول والديناريون والأرمنييون.

تصنيف ديكسون:

قسم ديكسون في عام 1923م السلالات البشرية في كتابه التاريخ السلالي للإنسان Racial History of Man السلالات حيث استخدم ثلاثة معايير أساسية في عملية التصنيف وهي:

عرض الرأس وارتفاع الرأس والنسبة الأنفية وقد تمخضت عملية تصنيفه هذه عن ثمانية أقسام سلالية يوضحها الجدول التالي:

أقسام ديكسون	اسم السلالة الشائع	التوزيع الجغرافي
(أ) القزويني (ب) البحر المتوسط	البحر المتوسط	روسيا – أسكيمو – سردينيا – اليابان – مصر – كاليفورنيا – إنجلترا – الهند.
(أ) الألبي (ب) الأورالي	الألبي	سويسريون، هوانيون – أراكوان – تشيك – أرمن – باسك – فنرديليون.
(أ) طلائع الزنوج (ب) استراليون	زنوج أستراليون	جامون – ايروكوا – بابوا – البرازيل – أستراليا – كاليفورنيا – صقلية – أوستياك.
(أ) الألبيون القدماء (ب) المغول	أقزام الألبي	الفلبين – البورميين – الغالية – اللاب – البوشمن –السويسريون

ويلاحظ أن ديكسون قد وصل إلى نفس النتائج التي توصل إليها تايلور. حيث ذكر ديكسون أن السلالات الزنجية قاصرة في العالم القديم على المناطق الحارة في أفريقيا والهند وأستراليا. ويوجد في داخل هذا النطاق غير المتصل امتداد لنطاق يكاد يكون متصلا من الشعوب القزوينية وشعوب البحر المتوسط حيث يمتد هذا النطاق من غرب أوروبا إلى البحر المتوسط وحتى غربي الهند، ويوجد في داخل هذا النطاق أيضًا القلب المركزي للسلالة الألبية ذات الرأس العريض.

تصنيف جريفث تايلور:

رفض جريفث تايلور الأساس القاري لتقسيم السلالات البشرية ولكنه أدخل معيارين حديد في دراسة السلالات وهي:

١ –استخدام المنهج البيولوجي في دراسته الهامة عن المناخ والتطور.

٢ –حاول أن يثبت أن الممرات الرأسية للقارات المختلفة هي التي حددت طرق الهجرات إلى حد كبير. وقد أثمرت عملية التقسيم إلى النتائج التي يوضحها الجدول التالي:

السلالة	المقياس		المواطن
	النسب الرأسية	الشعر	
الهجرات الأخيرة السلالة الألبية – السلالة المغولية	83–88	مستقيم أو مموج	النطاق الأوسط والطبقة العليا – تمتد من الألب السويسرية إلى منشوريا (لاتزال داخل أو قريبة من ممرات الهجرة في أوراسيا وأمريكا
السلالة الألبية المغولية المتقدمة (من أنواعها باريوان والبولينيزيون)	83–88	مستقيم أو مموج	النطاق الثاني والطبقة الثانية في الموطن الأصلي تنتشر في معظم آسيا ووسط أوروبا (منتشرة انتشارًا كبيرًا في أمريكا)
سلالة البحر المتوسط (من أنواعها النورديون والنزيون)	77–80	مموج إلى مجعد	النطاق دون الهامشي. شمال أفريقيا جنوب آسيا . هامش في شمال أوراسيا (انتشار خفيف شرقي أمريكا) . جنوب غربي أوروبا.
السلالة الاسترالية (ومنها سلالة قبل الدرافيديين ؟	73–76	مموج إلى مجعد	النطاق الهامش في شبة جزيرة الهند وفي أستراليا (عدد قليل منهم وصل إلى أمريكا وأوروبا).
الزنوج	70–74	صوفي (مفلفل)	النطاق الهامشي في وسط جنوب أفريقيا وفي جزر ميلانيزيا
الأقزام هجرات بشرية	حوالي 80	صوفي (مفلفل)	معظم النطاقات الهامشية وأسفل طبقات الغابات التي يتعذر الوصول إليها والصحاري الجزر الصغيرة في أفريقيا وجنوب شرق آسيا وغيرها.